3. معركة أُحد

عمل زعماء قريش على حشد أكبر عدد ممكن من المقاتلين من أجل خوض هذه المعركة، لذا فإنهم لم يكتفوا برجال قبيلة قريش وحدها، بل حاولوا إشراك حلفائهم معهم في القتال، فدعوا قبيلة ثقيف وعبد مناة، والأحابيش للمساهمة معهم[2]. وقد لبت هذه القبائل ندائهم بصورة محدودة. إذ يشير الواقدي إلى أن قريشًا قد خرجت إلى القتال: "وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليهم، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل"[3]، مما يدل على أن معظم رجال الحملة كانوا من قبيلة قريش.

وقد ذكر أن العباس بن عبد المطلب، قد كتب إلى الرسول ﷺ بتوجه قريش إليه لمحاربته، وأحاطه علما بمقدار قوة قريش الحربية كي يستعد لملاقاتهم بصورة جيدة[4]. وقد بادر الرسول ﷺ حال علمه بالخبر بإرسال من يستطلع تحركات قريش، والأماكن التي سيعسكرون فيها، حتى إذا علم أنهم قد وصلوا مشارف المدينة وأن خيولهم أخذت ترعى في زروع الأنصار، دعا أصحابه للاجتماع به للتشاور فيما يجب عمله لمواجهة قوات المشركين[5].

لقد برزت خلال الاجتماع وجهتا نظر، تقول الأولى أنه ينبغي على المسلمين البقاء في المدينة ومقاتلة المشركين في أزقتها ومن فوق قلاعها وبخاصة أن أهل المدينة كانوا قد تمرسوا على هذا النوع من القتال. وكان من أشد المدافعين عن هذا الرأي عبد الله بن أبي. وكان رسول الله ﷺ يميل للأخذ به.

أما الرأي الآخر، فكان يرى ضرورة الخروج إلى خارج المدينة لملاقاة العدو لأن عدم الخروج سيمكن قريش من إتلاف نخيل وزروع أهل المدينة وسيظهر قريش بمظهر القوة التي تحدت أهل المدينة في عقر دارهم وأذلتهم[6].

ويبدو أن أكثرية الحضور كانوا إلى جانب هذا الرأي ومن بينهم بعض كبار الصحابة من أمثال حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة، لذا فقد وافق الرسول ﷺ على تبنيه على الرغم من ميله إلى الرأي الآخر، ولم يتراجع عن ذلك حتى بعد أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جاءه أصحاب هذا الرأي معتذرين بقولهم: استكر هناك ولم يكن ذلك لنا. فأجابهم: ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته – أي عدة حربه – أن يضعها حتى يقاتل[1].

وهكذا فقد خرج الرسول ﷺ لملاقاة قريش على رأس قوة مؤلفة من ألف رجل في يوم السبت "لسبع خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرا"[2]، أي في أواخر السنة الثالثة للهجرة.

وقد أشارت المصادر إلى أن عبد الله بن أبي انسحب من الجيش بثلاثمائة بعد أن وصل جيش المسلمين إلى أرض المعركة قرب جبل أحد بحجة أن الرسول ﷺ لم يأخذ برأيه في مقاتلة المشركين في داخل المدينة.

إن ما تقدم يحملنا على التساؤل إذا كان عبد الله بن أبي غير مقتنع بالخروج للقتال خارج المدينة فلماذا خرج ثم عاد فانسحب قبل بدء المعركة؟ هل كان غرضه من ذلك تخذيل المسلمين وإدخال الضعف والوهن إلى صفوفهم.. وإذا جاز مثل هذا الإحتمال فهل جاء نتيجة تنسيق مع يهود المدينة؟

إن هنالك من الدلائل ما يؤيد مثل هذه التساؤلات. فقد ذكر الواقدي أن الرسول ﷺ حين وصل بجيش المسلمين "إلى رأس الثنية، التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل خلفه، فقال: ما هذه؟ قالوا: يا رسول الله، هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود. فقال رسول الله ﷺ: لا يستنصر بأهل الشرك على الشرك"[3]. وقد جاء في رواية عن عروة بن الزبير أن يهود بني النضير "كانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا بأحد لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه، فحضوهم على القتال ودلوهم على العورة"[4].

إن الروايات الآنفة الذكر إن صحت فإنها تدل على أنه هنالك مؤامرة لتخذيل جيش المسلمين قبل المعركة يساهم فيها اليهود والمنافقون. ويبدو أن الرسول ﷺ قد أحس بهذه المؤامرة فرفض مشاركة اليهود في القتال. أما عبد الله بن أبي فإنه بمجرد أن علم برفض الرسول ﷺ مشاركة اليهود معهم في المعركة قام بالانسحاب من القتال بحجة واهية كما قدمنا، إلاّ أنه استطاع أن يقنع بها بعض أبناء قبيلة الأوس والخزرج فانسحبوا معه إذ لا يعقل أن يبلغ عدد المنافقين بين جيش المسلمين ثلاثمائة منافق، فلا بد أن نسبة كبيرة من بين هؤلاء كانوا من المسلمين الذين استطاع ابن أبي وأتباعه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التغرير بهم وحملهم على الإنسحاب من المعركة[1].

وربما كان مما يقوي هذا الافتراض أن أبا سفيان كان قد نزل على سلام بن مشكم، أحد زعماء يهود بني النضير حين جاء إلى المدينة لمهاجمتها في غزة السويق كما قدمنا. وأن أبا عامر الراهب وهو من زعماء الأوس المعارضين للرسول ﷺ قد ساهم مع خمسين من أتباعه في معركة أحد ضد المسلمين، وأنه كان يقول لقريش: "إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم رجلان... فصدقوه بما قال وطمعوا بنصره"[2].

يظهر مما تقدم أنه ربما كانت هناك مؤامرة للغدر بالمسلمين قبل معركة أحد ضمت كلا من يهود بني النضير والمنافقين وأتباع أبي عامر الراهب، وإن قريش كانت على علم بخيوط هذه المؤامرة وأبعادها. وربما كان رجوع الرسول ﷺ عن رأيه في القتال داخل المدينة، وتبينه لرأي أغلبية المسلمين للقتال خارجها على خلاف ما دعا له عبد الله بن أبي زعيم المنافقين كان بسبب تخوفه من حقيقة موقف المنافقين ونشاطاتهم في داخل المدينة، إذ لو وقع القتال مع المشركين داخل المدينة، وقام أطراف المؤامرة بتنفيذ مؤامراتهم والتعاون مع المشركين لأدى ذلك إلى تحطيم قوة المسلمين وسيطرة المشركين وحلفائهم على المدينة.

ومهما يكن من أمر فإن جيش المسلمين المؤلف من سبعمائة مقاتل "بعد انسحاب عبد الله بن أبي ومن معه"، قد توجه إلى ساحة المعركة وهو مصمم على تحقيق انتصار على المشركين كانتصار بدر وإن كانت قوته العددية تقل عن ربع قوة المشركين، وذلك لأن عنصر الإيمان والثقة بنصر الله كان أحد العوامل الملهمة للمسلمين في قتال الأعداء[3].

وكانت خطة المسلمين في القتال تقوم على تمركز قوات المسلمين عند جبل أحد بحيث يكون أحد خلف ظهرهم، كما وضعوا خمسين من الرماة، على جبل يدعى عينان من أجل حماية ظهور المسلمين في أثناء القتال[4]. وقد أوصى الرسول ﷺ آمر هذه القوة عبد الله ين جبير بقوله: "انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتوننا من خلفنا، إن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك"[1]. وقد وقفت قوات المشركين في مواجهة جيش المسلمين، فكان ظهرها إلى المدينة في الوادي واستقبلوا جبل أُحد[2].

لقد كان على رأس قوات المشركين أبو سفيان بن حرب، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. أما اللواء فقد حمله طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار [3]. وقد واجههم المسلمون بقيادة الرسول ﷺ الذي عهد باللواء إلى مصعب بن عمير، وكان من بني عبد الدار أيضًا، "وجعل رسول الله ﷺ ميمنة وميسرة،... ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن خضير، ولواء الخزرج إلى سعد أو حباب"[4].

لقد خاض المسلمون المعركة تحت شعار "أمت، أمت" واستطاعوا اختراق صفوف المشركين وإجبارهم على التراجع حتى بدا لهم أن النصر قد بات في متناول أيديهم، مما شجّع سرية الرماة التي كانت تحمي ظهور المسلمين فوق الجبل على مغادرة مواضعها لمشاركة مقاتلة المسلمين في جني ثمار النصر، وبذلك اختلت خطة المسلمين الحربية مما ساعد المشركين على القيام بحركة التفاف سريعة من خلال الاستيلاء على مواضع الرماة ومحاصرة المسلمين. وهكذا فقد انقلب النصر إلى هزيمة، واضطربت صفوف المسلمين وأخذوا يقاتلون من أجل انتهاء المعركة بأقل خسارة ممكنة [5].

وحين انتهت المعركة كانت خسائر المسلمين فيها خمسة وستين شهيداً، أربعة منهم من المهاجرين والبقية من الأنصار كما يذكر ابن إسحاق. أما الواقدي فإنه يروي أن خسائر المسلمين كانت أربعة وسبعين شهيدًا، أربعة منهم من المهاجرين وهم كل من حمزة عم النبي ﷺ ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشماس ين عثمان. أما بقية الشهداء فكانوا من الأنصار[6]. أما قتلى المشركين في هذه المعركة فقد بلغ اثنين وعشرين رجلاً [7]. وبذلك كانت نتيجة المعركة لصالح قبيلة قريش.

ويلاحظ أن الرسول ﷺ قد قاتل بنفسه في هذه المعركة وأصيب بجراح في وجهه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى ظن أنه قد قتل، واستمر يقود المعركة وحوله مجموعة من الصحابة حتى انتهت المعركة[1].

لقد عد المشركون نتيجة المعركة بمثابة الثأر لهزيمتهم في معركة بدر، ومن ثم لم يحاولوا المجازفة في مواصلة المعركة حتى نهايتها الحاسمة، وقد عبر عن ذلك قائدهم أبو سفيان حين قال: " الحرب سجال، يوم بيوم" [2].

غير أن الرسول ﷺ قام في اليوم التالي لمعركة أحد بقيادة جيش المسلمين وتظاهر بمطاردة قوات المشركين من أجل إشعارهم بقوته من جهة ورفع معنويات المسلمين من جهة أخرى. وحين وصلت أخبار تحرك المسلمين لمقاتلتهم أسرعوا في العودة إلى مكة لتجنب الدخول في مواجهة أخرى مع المسلمين. وبذلك حقق الرسول ﷺ أهدافه من هذه المناورة. وقد بقي معسكرًا بجيشه عند حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينه لأيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة[3].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner